الحكم على السلطان

كان لسلطانِ خراسان محمد علاء الدين بنتٌ فاضلةٌ من جميع النواحي، وكان السلطان قلقاً من عدم قدرتِهِ على إيجادِ العون المناسب لابنته من حيث السلطةُ والمؤهلاتُ المناسبة، فقام باستشارة وزيرِهِ في أحد الأيام:

ـ ماذا على الملكة أنْ تفعل إذا لم نجدْ لها عوناً مناسباً؟

كان الوزير شخصاً حكيماً لا يتردَّدُ في قول أفكارِهِ براحةٍ وثقةٍ، فأجابه:

ـ الفقهاء الحكماء السببُ وراءَ العدل والتوازن الذي كان يتمتع فيه سلاطين الإسلام، فلكلِّ سلطانٍ فقيهٌ يحكمُهُ، لأنَّ السلاطين يحكمون الناس، والفقهاء يحكمون السلاطين.

ثم قال الوزير:

ـ برأيك؟ أين هم هؤلاء الفقهاء الذين يتمتَّعون بكلِّ هذا العلم والحكمة؟

لقد أعطى جوابَ هذا السؤال أحدُ أحفاد الخليفة أبي بكر، جلال الدين حسين الخطيب قائلاً:

ـ كان الأنبياء مكلَّفين بإعلاء كلمةِ الحقِّ ونشرها، لم يحتاجوا لأحدٍ ولم تكنْ تُهِمُّهُمْ تلك الأمور الدنيوية من مكانةٍ ومظاهرَ، بل كانت لا تعنيهم شيئاً، كانوا يؤدُّون دورهم الإرشاديَّ على أكملِ وجه.

تعظيمُ الفقهاء من قِبَلِ السلاطين عادةٌ متوارثةٌ جاءت من الماضي واستمرت إلى الآن، فللعلمِ والمعرفةِ مكانةٌ عظيمةٌ يقف الكلُّ ـ حتى السلاطين ـ أمامها منحنياً.